نكبة مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة من خلال كتابي "تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة" و"رحلة أفوقاي الأندلسي": دراسة مقارنة.

The suffering of the Muslims of Andalusia after the fall of Granada through the books "Tarikhe taourat wa aikabe Andalousiai mamlakat Gharnata" and "Rihlat Afukai El-Andalousie": A Comparative Study.

ط د.رغدة بوجيت /جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة/ الجزائر
ED . Raghda Boudjit/20 Aout 1955 - Skikda /Algeria
د.مريامة لعناني / جامعة الأمير عبد القادر للعوم الإسلامية - قسنطينة / الجزائر
Dr .Meriama Laanani /University of El-Amir Abdelkader of Islamic Sciences - Constantine/Algeria

محور المداخلة : السياسة الإسبانية تجاه الموريسكيين بعد سقوط غرناطة سنة 1492م.

ملخص الدراسة:

لايزال البحث في تاريخ الاندلسي عموما وتاريخ سقوط غرناطة بنو الأحمر خصوصا من بين أهم المواضيع البحثية المستقطبة للباحثين في التاريخ الوسيط والحديث، وقد حاولنا في ورقتنا البحثية هذه التأريخ للمعاناة التي عاشتها مسلمو الأندلس انطلاقا من مصدرين مختلفين، إذ أنّ أحدهما لمؤرخ ذو أصل إسباني، والثّاني لمؤرخ موريسكي، لكن كلاهما يعدّان شاهدا عيان على مجريات أحداث الفترة المعنية بالدراسة.

وعليه نطرح الإشكال التالي: **إلى أي مدى يعتبرا الكتابين محل الدراسة مصدرين يعوّل عليهما في التأريخ لنكبة مسلمي الأندلس؟**

وللإجابة عن اشكالينا اعتمدنا على كل من المنهج الاستقرائي، المنهج الوصفي، المنهج التاريخي والمنهج المقارن.

قد توصّلنا إلى مجموعة نتائج في آخر بحثنا وهي كالتالي:

التأريخ للعلاقات السيّاسية التي ربطت بين الملوك النّصارى وملوك بنو الأحمر والمتأرجحة بين الهدنة والحرب، وكيف استغلّوا علاقتهم بالملك "أبو عبد الله محمد الثّاني عشر" والمعروف ب" أبي عبد الله الصغير" في إسقاط الحكم الإسلامي.

على الرغم من كون الكتابين محل الدراسة مختلفين من حيث الانتماء الديني والسياسي؛ إلاّ أنّ كلاهما أمدّنا بمعلومات جدّ مهمة حول السياسة التّعسفية التي انتهجها حكام إسبانيا بعد سقوط غرناطة اتجاه الموريسكيين، والمتمثّلة عموما في القمع، طمس الهوية، التنصير، التعذيب الوحشي، القتل والتهجير القسري، لكن أثّر هذا الاختلاف في الانتماء في المصطلحات المعتمدة من طرف كل واحد منهما، بالإضافة إلى تضاد رؤيتهما حول أحقية الحكم النصراني بالنسبة للإسباني الذي أرّخ لسقوط غرناطة على أنّه فتح عظيم أدّى إلى استرداد إسبانيا، في حين الموريسكي "أفوقاي" رأى أنها عبارة عن حروب صليبية ورحلة اضطهاد وتهجير ومحاربة لكل ما يمت بصلة للعروبة والإسلام.

الكلمات المفتاحية: الأندلس، غرناطة، النكبة، الملوك النصارى، ملوك بني الأحمر، الموريسكيين.

Abstract:

Research in Andalusian history is one of the polarized research topics of researchers in medium- and modern history. Our research is designed to chronicle the suffering experienced by moriscos, from two different sources, the first by a Spanish historian, and the second by moriscos historian, but both are contemporary events.

The problem with our research is: **Are the two thoughtful books reliable in chronicling the tragedy of the Muslims of Andalusia?**

For the approaches adopted in our paper, they are both the inductive, descriptive, historical and comparative.

The results of our research are as follows:

Chronicling political relations between the kings of Bani Alahmar and the kings of the Christians, and for the periods of armistice and war and exploiting the gap between the members of the ruling family in the overthrow of the Islamic rule through the signing of the "Abu Abdullah Mohammed XII" known as "Abu Abdullah Al- Saghir" extradh agreement.

The two books contain important information - despite religious and political differences - about the policy pursued by the Christians rulers towards the Muslims of Andalusia, namely repression, christianization, murder and forced displacement.

There is a clear difference between terminology, in addition to each of them seeing the entitlement to Catholic rule of Spain's territory and the policy adopted by the Andak Authority against all things Arab-Islamic.

Keywords: Andalus, Garnada, The Suffering, The kiengs of the christians, The kings of Bani Alahmar, Moriscos.

مقدمة:

تعايشت في المجتمع الأندلسي إثنيات متعددة فيما بينها، فقد اندمجوا أهل الذمّة من يهود ونصارى مع المسلمين ومارسوا طقوسهم بحرية تامة، انطلاقا من مبدأ حرية الاعتقاد الإسلامي، وقد ساهم هذا التمازج بصورة كبيرة في تأسيس الحضارة الأندلسية تجلت مظاهرها على كافة الاصعدة خلال العهد الأموي.

ليستمر الأمر خلال عصر ملوك دويلات الطوائف فعلى الرغم من الاضطراب الذي عاشوه حكّام الدويلات على الصعيد السّياسي خارجيا من طرف النّصارى، وداخليا من خلال تناحر الحكام فيما بينها، إلاّ أنّ هذا لم يمنع من حرية ممارسة الشعائر الدينية لكل طائفة، أو إقرار سنن وقوانين تمنع تعايش أهل الذّمة مع المسلمين، أو تجبرهم على الإسلام قسرا. وكذلك هو الأمر خلال العصر المرابطي، ولكن بدخول واستقرار الموحدين بالأندلس الإسلامية اختلف الوضع، إذ خيّر السلطان الموحدي "..." حينها اليهود ما بين الإسلام أو الهجرة، فاختاروا الهجرة إلى الممالك النصرانية، خصوصا لما رءوا ما أنعم به عليهم مقابل الاشتغال في الترجمة في بلاط مماليك النّصارى .

لكن بعد حوالي قرنين من الزمن تقلّبت الموازين، فاستردّت النّصارى كلّ الأندلس، ولم يبق لهذه الأخيرة وجود سياسي، بل صارت البلاد يصطلح عليها بإسبانيا، وقد عملت السلطات السياسية والدينة لهذه الدولة الفتية على التوسّع باسم الدين، فكانت تحارب كلّ من هو غير نصراني-مسيحي، فعاقبت اليهود والمسلمين بأبشع الأساليب والآليات، مرغمة إيّاهم على التنصّر قسرا، ولكن لم يتوقّف الأمر هنا، إذ عملت مع مطلع القرن 17م على إلزام الهجرة من خلال إقرار قانون عرف تاريخيا بقانون الطّرد النهائي، وبه أسّست إسبانيا لما يعرف الشتات الأندلسي.

وقد حاولنا في بحثنا هذا الجمع بين سياسة السلطة الإسبانية في تجرئها على خرق بنود وثائق التسليم، وضرب قوانينها عرض الحائط، ليكتمل المشهد مع التعدي التّام على بنود قرار الطّرد والتهجير، من خلال استعارتنا لمصطلح النكبة الفلسطيني، خاصّة وأنّ في تعريفه نجد أنّ له دلالة كبيرة على البحث في المأساة الإنسانية المتعلّقة بتشريد عدد كبير من الشعب خارج الدّيار، وتهجيرهم بعد هدم معالم مجتمعهم السياسية والاقتصادية والحضارية، فهناك تشابه واضح لما حدث للأندلسيين مع بدايات سنة 1492م والفلسطينيين مند عام 1948م .

وجاء بحثنا هذا لدراسة نكبة مسلمي الأندلس، من خلال مصدرين مختلفين من حيث مضان النّص، ومن حيث انتماء السيّاسي والديني لكاتب النّص، فأحدهما مصدر تاريخي، لمؤرخ مسيحي إسباني يؤرخ فيه للسياسة المتبعة من طرف السلطة الإسبانية في ترويض المسلمين وإسقاط حكمهم بغرناطة، واستراتيجية قمع الثورات والحركات المقاومة لها. أمّا المصدر الآخر فهم نص جغرافي لعالم أندلسي مسلم؛ إذ أنّه عبارة عن رحلة تتناول مواضيع مناظراته مع الآخر المسيحي. لكن هذا لا ينف إدراجه لمعلومات تتعلق بالسيّاسة المنتهجة من طرف حكّام إسبانيا مع الساكنة المسلمة.

وعليه نطرح التساؤل التّالي: إلى أي مدى يعتبرا الكتابين محل الدراسة مصدرين يعوّل عليهما في التأريخ لنكبة مسلمي الأندلس؟

وقد انضوت تحت إشكاليتنا هذه مجموعة من الأسئلة الفرعية، من بينها :

ماهي المواضيع التي عالجاها الكتابين مصدرا الدّراسة؟ وما علاقتها بالتأريخ لنكبة مسلمي الاندلس؟

هل يمكّننا من التعرّف على حيثيات أسباب وإجراءات وثيقة تسليم غرناطة؟ وبنودها على مستوى الأبعاد المختلفة؟

هل نستطيع انطلاقا ممّا جاء في المصدرين اكتشاف إلى أي مدى تمّ خرق وثيقة التسليم؟

إلى أيّ مدى مكننا الكتابين من القدرة على رسم صورة واضحة حول أسباب وإجراءات قانون الطرد الإجباري؟

ماهي أوجه التشابه والاختلاف بين الكتابين مصدرا الدّراسة؟

وللإجابة على هذه التساؤلات كان لابدّ علينا من الاعتماد على مجموعة من المنهج التي يلجأ إليها الباحث فب التاريخ لأجل المقاربة بين أنواع النصوص، وهي المنهج الاستقرائي، المنهج الوصفي، المنهج التاريخي والمنهج المقارن.

وتكمن أهمية بحثنا في التعريف بكتابين يعدّا من أهم المصادر المعتطرقة للمأساة التي عانتها السّاكنة الأندلسية المسلمة قبل سقوط غرناطة وبعدها، بل حتى العقد الثّاني من القرن 17م زمن إقرار قرار الطرد النهائي وإجراءات تنفيده.

الهدف من بحثنا هو محاولتنا التأريخ لحدث يعدّ الحدث الفاصل بين الانهيار الحضارة الأندلسية الإسلامية وعودة الحضارة النسيحية للحيّز الجغرافي المعروف اليوم ببلد إسبانيا. ومحاولة الكشف عن المادة الموجودة بالمصدرين والتي تمّننا من التأريخ للنكبة.

أوّلا: التعريف بالمرمول كربخال وكتابه.

1/ التعريف بالمرمول كربخال:

لويس دي المرمول كربخال إسباني من غرناطة ولد بها في حدود 927 هـ/ 1500م. زاول دراسته الأولى في كنائس غرناطة أين مسقط راسه، ليلتحق بالجيش فيبتعد حينها عن الدراسة النظامية لكن لم ينقطع عن شغفه بالتاريخ. (كربخال. 2013. ص - ص8-9، لعناني. 2017. ص 327)

خرج من مسقط رأسه للمشاركة في حملة شارلكان على تونس عام 942 هـ/ 1535 م، ليظل بعدها عميلا في افريقيا لمده 20 سنة، وهذا ما جعله يضع كتابه افريقيا خلال فترة سجنه بها. (كربخال. 1984. 1. ص9. لعناني. 2017. ص 327)

لم تنتهي أعماله العسكرية هنا بل عاد إلى إسبانيا عام 1557م، فعين ناظرا على تموين الجيش الملكي خلال حرب البشرات خلال الفترة الممتدة ما بين سنتين 976- 978هـ/ 1568- 1570م، ليتمكن خلال هذه الحرب مرة أخرى من وضع كتاب آخر وهو كتاب موضوع دراستنا والمعنون ب"تاريخ ثوره عقاب أندلسي مملكة غرناطة. (كربخال. 2013. ص11. لعناني. 2017. ص 327)

أما بالنسبة لوفاته فحددت بتاريخ انتهائه من تأليف الكتاب، لتحدد ما بين 1599 و1600م، فهناك من قال إنه مات في العام الذي تمّ فيه تسليم القسم الثاني من كتابيه "وصف عام لإفريقيا" و" تاريخ ثورة ومقاومة أندلسي مملكة غرناطة، وهناك من يقول انه توفي أثناء الطبع للجزء الثاني ل كتاب" وصف افريقيا"، إذ لم يوجد له فهرس كما سبق مع جزئي من القسم الأول، وبما أن الفهرس عمل المؤلف وليس عمل الناشر أجمع على القول إن وفاته كانت سنه 1009هـ/ 1600م (كربخال. 2013. ص24. لعناني. 2017. ص 328)

2/ التعريف بالكتاب:

أ/ عنوانه:

عنون كربخال كتابه ب"تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة"، وعليه نستشف أن نوع الكتاب هو نص تاريخي، وهذا ما يؤكده هو في كتابه إذ كلما استطرد في الوصف الجغرافي والطرائق المتبعة من طرف المطارنة في اخضاع وتنصير اهالي الاندلس قال عبارة" فلنرجع إلى تاريخنا". ومن خلال اطلاعنا واستقراءنا للمادة الواردة بالكتاب يمكننا القول أن

الكتاب لم يعالج تاريخ الأندلس الإسلامية، وإنما عالج تاريخ مملكة غرناطة فقط قبيل سقوطها وبعده، فتعرض إلى ذكر الآليات والوسائل المعتمدة من طرف السلطة الإسبانية في ترويض الاندلسيين لأجل تسليم غرناطة وبعد ما سلموها، وعليه يمكن اعطاء الكتاب عنوان آخر من زاوية إسلامية عربية وهو "احتلال النصارى لغرناطة ونكبة الاندلسيين المقاومين لمجريات الاحتلال وما بعده" (كربخال. 2013. ص، ص 66، 122، 165، 182)

ب/ مصادره:

أحال كربخال إلى مصادره، وهي على ثلاثة أنواع؛ المكتوبة، المروية والوثائق بصنفيها الورقية المخطوطة والنصب التذكارية.

ب-1/ المصادر المكتوبة: وهي النصوص ونجد هنا نوعين:

المصدر الذي يذكر منه اسم مؤلفه فقط، والمصدر الذي يذكر فيه اسم المؤلف وعنوان الكتاب، وتنقسم عرقيا إلى الإسبانية والعربية، فبالنسبة لصنف الأول نجد:

ب-1-1/ الإسبانية: نجده يذكر كل من، هيرنندو دي ربيره. ألنسو دي بلنثية، هرنندو دي البكار، لويس كربخال، أوسوريو، بمبو نيومييلا وثيوليبيو. (كربخال. 2013.ص، ص 54، 58، 68، 71. ابن الحاج السليمي. 2015.ص - ص 18-19)

ب-1-2/ العربية: يذكر لجؤه إلى النقل منها ولكن من دون تحديد اذ يقول: "بعض الكتب العربية التي استطعنا موازنتها مستيقنين"، وهو هنا عندما يتحدث عن موازنتها فإنما يقصد بذلك موازنتها مع الكتب المحلية الإسبانية كما يعبر عنهم بمصطلح الأفارقة. (كربخال. 2013. ص، ص 54، 58، 64، 71)

أما بالنسبة الصنف الذي يذكره بالمؤلف والعنوان فمها هي الأخرى الإسبانية والعربية، بحيث:

ب-1-3/ الاسبانية: البابا بيو ومؤلفه هو "التكملة التي وضعها في تاريخ بلندودي فرلي"، وتيتوليبو ومؤلفه هو "الكتاب الخامس من العشرية الرابعة". (كربخال. 2013.ص، ص 70، 71)

ب-1-4/ العربية: نجد في هذا لنوع كتاب "اللغة" للجوهري، "جغرافية" محمد بن جهور، "أراضي إسبانية" لابن رشيد. (كربخال. 2013. ص، ص 58، 59، 61. ابن الحاج السليمي. 2015. ص- ص 14-15)

ب-2/ الرواية الأندلسية: اذ استند في تاريخه إلى النقل على ما رواه له الأندلسيون المسنون وفق ما قالوها وشهدوا له به. (كربخال. 2013. ص، ص 71، 74، 88، 94، 116، 139، 163. ابن الحاج السليمي. 2015. ص- ص 20- 22)

ب-3/ الوثائق: تطرق كربخال في كتابه إلى اعتماده علي الوثائق بنوعيها الورقية المخطوطة والنصب التذكارية .

فبالنسبة للورقية نجد القيّادة التي أطلعه عليها احد الاندلسيين كانت لأجداده، ويصفها لنا كربخال، فيقول: "في كاغد خشين كالخرقة، مصقول جدًّا، وملوّن جدًّا، وكانت بعض الحروف مكبّرة بالذهب..." (2013. ص 70)

أمّا بالنسبة للنصب التذكارية، فنجده يصرح بها هي الأخرى من خلال قوله: "... النقائش المنقوشة في الحجارة القديمة"، "الكتابات القديمة على الأملاك الموجودة داخل محيطه... "،"... الحروف العربية المكتوبة على طابية جدار قديم". (كربخال. 2013. ص، ص 71، 73، 74)

ج/ منهجه:

ج-1/ منهجه في الإحالة وذكر مصادره: انطلاقا مما جاء في الحديث عن مصادره نجد كربخال يستعمل الفاظ وعبارات مكنتنا على تحديد نوع المصدر، وهي:

مصطلحات تدل على اطلاعه على الكتاب الذي ينقل عليه او منه كقوله: " ناقلا في هذا الخصوص عن...."، "وهذا ما يقوله..."، "ويذكر الكتاب...."، "كما يقول الجوهري في لغته ومحمد بن جهور في جغرافيته...." وكما يقول ابن رشيد في كتاب وضعه في قرطبة بأمر خليفه دمشق"، بالإضافة إلى مصطلحات أخرى مثل قوله:" يذكرها"،" يتحدث عنها"، "يعطينا"، "يقول"، "يذكرها في الكتاب" و" اطلعنا" (كربخال. 2013. ص، ص 54، 58، 59، 70،68،64،61، 73،71)

مصطلحات تدل على اعتماده للرواية الشفوية، فاستعمل ألفاظ تدل على أن المعلومة انتقلت عن طريق الحديث والكلام، فيقول: "قال"، "يقول" و" حكى". (كربخال. 2013. ص، ص 74، 88، 94، 139،116، 163)

ج-2/ منهجه في التأليف:

-الإشارة إلى أن الفقرة منقولة حرفيا، مثل قوله: "وانتهى هنا ما قاله ابن رشيد" (كربخال. 2013. ص 64، 67)

-لجوؤه إلى الوصف الجغرافي الدقيق جدا؛ إذ تشعر وأنت تقرا له في أنه يصور لك المكان، فيعرفك على كامل تفاصيل المدينه، والمسافة التي بينها وبين المدن المحيطة بها، وفي هذه الأثناء يمدنا بمعلومات طوبونيمية كثيره، فغالبا ما يشرح أصل تسمية المدن ومدلولاتها. (كربخال. 2013. ص، ص 64، 65، 70، 73، 75، 76)

-الاستطراد في ذكر المعلومات الجغرافية ومحاوله العودة إلى التاريخ في حاله حدوث ذلك. (كربخال. 2013. ص66)

لجوؤه إلى الاستقراء، المقارنة، التحليل والاستنتاج وغالبا ما يصرح بذلك. (كربخال. 2013. ص، ص 67، 68، 71، 75)

-اعتماده على الجزم في بعض المرات؛ إذ يقول في إحدى الفقرات: "ونقول هذا على يقين كبير لأننا اجتهدنا في معرفته وكذلك بناء على رواية الأندلسيين المسنين وبناء على الكتابات العربية والنقائش المنقوشة في الحجارة القديمة". (كربخال. 2013، ص 71)

- أمّا في مرة أخرى فنجده يأخذ مبدأ الانحياز في قولع "وهو ما لا أكده ولا أنفيه" (كربخال. 2013. ص77)

-الوصف الدقيق لحيثيات المكان العمراني، وذلك عند حديثه عن تشابك الزليج وطرازه في ساحه قصور قومارش الغرناطي. (كربخال. 2013. ص 82)

-التحدث عن الحكام المسلمين والإشارة إليهم بالكنية بدل الاسم لأجل عدم الوقوع في الالتباس والخلط، بسبب عدم كعرفته واطلاعه على أخبارهم من المصادر العربية. (كربخال. 2013. ص 119)

-معرفته بقواعد الأمانة العلمية، ونلمس هذا من قوله: "ليبقى القارئ راضيا نورد هنا الاتفاقيات بنصها كما عقدها الملك والملكة..." (كربخال. 2013. ص 143).

-استعمال بعض المصطلحات والعبارات الدالة على تعصبه الديني، وعلى بروز نوع من الذاتية ونظرته العنصرية والتحقيرية لعنصر المسلمين، مثل قوله: "المسلمون وهم أعداء إيماننا المقدس في إسبانيا... "، "الملوك الكفار... "، "تنصر الكفار"، "كثير من الأمم الأخرى الهمجية"، "الهمجين الأدلاء". (كربخال. 2013. ص، ص 61، 83، 113، 163، 172، 178)

د/ أهمية الكتاب:

على الرغم من كون نوع الكتاب نص تاريخي سياسي، وأن غاية مؤلفه هي التأريخ للثورات التي قام بها المسلمون كرد فعل على التوسع المسيحي نحو غرناطة وحوزتهم لها، والعقوبات التي طبقتها السياسة الإسبانية على المسلمين القائمين ضدها أو غير الموافقين للدخول طواعية في دين الدولة. والمتمثلة أساسا في "نكبة المسلمين ومعاناتهم قبيل وبعد تسليم الملك المسلم لمدينة غرناطة للملكين الاسبانيان في نهاية عام 1491 ."

إلا أن المعلومات التي جاءت بالكتاب مهمه جدا في الجانب الاقتصادي يمدنا بمعلومات حول الثورة الغابية والمنتجات الزراعية والفلاحية خلال الفترة المدروسة، كما يشير إلى موضوع وقضية التجمعات السكانية بالنسبة للجانب الاجتماعي. لكن أهميته القصوى تبرز في الجانب الجغرافي-الطوبونيمي. (كربخال. 2013. ص، ص 61-69، 70-73، 76-81، 84-86، 89، 91، 127، 130، 137، 141،161، 173،185)

ه/ نقده:

عند قراءة الكتاب حرفيا نجد وقوع كربخال في بعض الأخطاء، وقد انتبه لها مترجم الكتاب، وهي:

-وجود خلط في أسماء الحكام المسلمين بنو الأحمر وهذا دليل على عدم احاطته بكامل المعلومات حولهم مثل الخطأ في ذكر اسم الحاكم الذي أنشأ وأسس مملكة غرناطة، وهو ابو الحسن علي بن سعد بن علي بن يوسف (890-968هـ/ 1464-1485م). (كربخال. 2013. ص 80. فرحات. 1993. ص 58)

-وجود خلط في التواريخ الهجرية؛ إذ لم يرد تاريخ هجري واحد صحيح عند مقابلته بالتاريخ الميلادي. (كربخال. 2013. ص، ص 81، 113، 116، 120، 129)

-وجود بعض الاخطاء والهفوات، مثل لفظ "الأمريق" وربما يقصد به "الأمازيغ"، وكذلك نجده يخلط بين "طارق بن زياد" فاتح الأندلس وطارق شخص اخر فيسميه "طارق بن ساره". (كربخال. 2013. ص، ص 69، 73)

ثانيا: التعريف بأفوقاي (أحمد بن قاسم الحجري) وكتابه:

1/التعريف بأفوقاي:

أحمد بن قاسم بن أحمد بن الفقيه قاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي ولد في قرية الحجر الأحمر بغرناطة عام 977 هـ/ 1579 م، ولا يوجد له ترجمة في كتب التراجم، إلا ما تبقى من مختصر رحلته وكتابه "العز والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع" (الحجري. 2004. ص 11. الخطيب. 2018. ص-ص 13-14)

يلقبه المغاربة بالشهاب، أمّا الإسبانيين فيلقبونه بالبخيرانو(Bejerano) ؛ إذا اضطر بإسبانيا إلى حمل اسم يعرف به عند العامة ولا يوحي الى كونه عربي مسلم. كما عرف ايضا بأبوقاي وهو تحريف لكنيته أبو القاسم أو هو اسم أسرة أندلسية ما زالت بقاياها موجودة بتطوان ويعرف أبنائها اليوم بأولاد "الفقاي" (الخطيب. 2018. ص 14)

في حين هناك رأي آخر حول مفهوم لقبه أفوقاي وهو أن اللقب الذي عرف به بين الأندلسيين المطرودين وهو تحريف لكلمة "أبوكادو" والتي تعني باللغة الإسبانية "المحامي"، وهذا بسبب مهمته التي كلف بها عندما بعث سفيرا الى بلاد الفرنجة للدفاع عن الأندلسيين المنهوبين من قبل ربابنة السفن الفرنسية. (الخطيب. 2018. ص-ص14-16)

نشأ أفوقاي وترعرع بغرناطة وعانى مما كانت تعانيه كامل الساكن الأندلسية منذ بدء خرق بنود وثيقه التسليم، فتعلم العربية و مارس الإسلام في الخفاء إلى أن اكتشف أمره بعد عمله كمترجم لدى الإسبان، لكنه فضل الخروج والهروب بدل البقاء فرحل الى المغرب سنة 1007 هجري 15891599 ميلادي، قبل اصدار قانون الطرد بحوالي 11 سنة. (الشمالي. 2015. ص-ص 969- 970)

فاشتغل أفوقاي مترجما للبلاط المغربي منذ أواخر عهد المنصور الذهبي وكذلك زمن السلطان زيدان وابنه عبد الملك والوليد، رحل إلى بلاد الفرنجة كما اصطلح عليها في كتابه المدروس، وهي كل من فرنسا وهولندا في الفترة الممتدة من 1611-1613م، ثم ذهب في رحلته إلى الحج، وعن عودته توقف في مصر، فالتقى بالشيخ الجوهري فأمره بتدوين مناظرات ضد النصارى فلبّ الطلب، ثم ذهب إلى تونس في نفس العام. (الحجري. 2004. ص- ص 11- 12)

2/ التعريف بالكتاب:

2-1/ عنوانه:

قد يتساءل البحث عن وجود مؤلفين لنفس الرحالة والعالم والترجمة، ألا وهو أحمد بن قاسم الحجري المعروف بأفوقاي؛ إذ نجد النسخة المنشورة من طرف المجلس الأعلى للأبحاث العلمية والوكالة الإسبانية للتعاون الدولي من تحقيق وتقديم وترجمة كل من شورد فان كوننكز فلد وقاسم السامرائي وخيرارد فيخرز، ضمن سلسلة المصادر الاسبانية في العدد 21، تأخذ عنوان "كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين" وقد جاءت بعداد 206 صفحة. في حين نجد النسخة التي حررها وقدم لها محمد رزوق سنة 2004 والتي تكفلت بنشرها دار السويدي للنشر والتوزيع بالإمارات والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت وقد عنونِت ب"رحلة أفوقاي الأندلسي"، وهي مختصر لكتاب آخر جاء

بعنوان "رحلة الشهاب الى لقاء الأحباب" كتبها ما بين سنتي 1611 و 1613. وقد جاءت بالتعداد 188 صفحة وهذه هي النسخة المعتمدة في بحثنا .

ويقول الباحث محمد رزوق في تقديمه للكتاب ان السبب الذي جعل أحمد بن قاسم الحجري يضع كتابه هذا هو طلب من الشيخ علي الجهوري سنه 1047هـ/ 1637م. (2004. ص 12)

يرد لنا على لسان أفوقاي في تقديمه للكتاب أنه عبارة عن مختصر للمناظرات التي وقعت له مع النصارى في الكلام في الدين يشير إلى أن النص عبارة عن رحلة ثم بعد ذلك يشير إلى أنه عنون كتابه هذا ناصر الدين على القوم الكافرين. (الحجري. 2004. ص 22)

ولذا حاولنا اللجوء الى وضع عنوان رحلة أفوقاي الأندلسي من مبدأ الحياد، وهو عبارة عن مختصر لكتاب لم يصلنا عرف بعنوان، ألا وهما "رحله الشهاب إلى لقاء الأحباب" و "ناصر الدين على القوم الكافرين"، وعليه انطلاقا من العنوان نقول إن نوع النص عبارة عن رحلة، ونوع هذه الاخيرة هو الرحلة السفارية؛ وذلك لاعتبار أن مؤلفها كان غرضه الأول من قيامه بالارتحال هو الخروج والسفر إلى بلاد الفرنج للمطالبة بالأندلسيين الذين تمت سرقتهم من طرف البحار الفرنسيين (الشمالي. 2015. ص 59)

2-2/ مصادره :

الملاحظ من خلال استقراء الكتاب أن أفوقاي لا يصرح بمصادره غالبا ما عدا أنه أحيانا أشار إلى بعضها الشفوية منها والمكتوبة، فبالنسبة للأولى نجده يستسقيها من عند الأندلسيين والمصريين، وهذا لاعتبار أن تدوينه لرحلته هذه كان بمصر بالإضافة إلى تطرقه لموضوع "نكبه الاندلسيين" بعد خروجه بإحدى عشرة سنة من إسبانيا. (الحجري. 2004. ص، ص 99، 105)

أمّا بالنسبة للمصادر المكتوبة، فيمكن القول انها الكتب التي تعلقت بمناظراته ومناقشاته مع النصارى في موضوع التوحيد على وجه الخصوص ولم يصرح بها ما عدا التوراة والقران، كما أشار إلى بعضها عموما دون تحديد، مثل قوله: "في بعض كتب عبد الوهاب الشعراوي"، "وطالعت بعض الكتب التواريخ المسلمين فيما وقع لهم من الحروب..." الحجري. 2004. ص، ص 79، 116)

3-2/ منهجه:

فيما يخص المنهج المتبع من طرف أفوقاي في تحريره لكتابه يمكننا الاشارة إلى اتصافه نوعا ما بالأمانة العلمية؛ إذ حاول الاشارة الى النصوص المتطرقة للمواضيع المعالجة في المناظرات في كتابات الآخر، وعلى وجه الخصوص التوراة. (الحجري. 2004. ص، ص 22، 79، 88، 102)

كما يمكن هنا التطرق إلى تخلل معلومات جغرافية للنص، والمتمثلة في وصف موقع البلد وابعاده والمسافة بينه وبين دول الجوار. (الحجري. 2004. ص، ص 43،47،79،97،115)

أما بالنسبة للمفردات فنجده يلجئ إلى ادراج بعض المفردات من العامية المغربية مثل "عياط المولود"، "الحوايج"، "أدحاني"، "قاسحون"، "اللّطين"، "الصباط". (الحجري. 2004. ص، ص 64، 65، 73، 104، 110، 122)

بالإضافة إلى استعماله للمفردات الإسبانية بحروف عربية كقوله: "الضيمنت" عن الألماس و"المبّات" عن الخرائط الجغرافية، وهي جمع لكلمة "mapa" بالعربية، وذلك نجلد لفظ "البابس" عند جمعه لكلمه "بابا" التي جاءت عنده ب"باب". (الحجري. 2004. ص، ص 59،69،99)

يمكننا تفسير استعماله لهذا النوعين من المفردات إلى كونه عاش قرابة الثلاثين سنة ببلد إسبانيا اين تمت محاربته ومحاربه اللسان العربي بشتى الطرق، فهو لم يتمكن من استعمال اللغة إلاّ في الخفاء، وهذا ما جعله يسقط في بعض الهفوات علاوة على انتشار لغة الألخميادو أنذك وبالتالي تاثره بها وتطبيقها بحالة عكسية. (الشمالي. 2015. ص، 969)

كما نلمح تأثره بألفاظ الفقهاء في المصطلح الذي أطلقه على الأندلس عند تحولها الى إسبانيا؛ إذ يقول الكفار وبلاد الشرك. (الحجري. 2004. ص، ص 45، 49)

كم نلاحظ حرصه التام على إطلاق مصطلح "الأندلس" على الساكنة والبلاد، فلا نجده يستعمل مصطلحا اخر غير الأندلس (الحجري. 2004. ص، ص 19_30، 34 ،35، 38، 40، 41، 43، 48، 49، 52، 53، 58، 59، 65، 70، 77، 78، 83، 88، 96-100، 703، 105، 109، 110، 112، 113، 115، 116، 118، 119، 133)

2-4/ أهمّيته :

بالرغم من أنّ جل مواضيع الرحلة جاءت في قضايا المناظرات التي قام بها أفوقاي مع النصار، وأن هذا هو سبب تأليفه لها؛ إلا أن فيها معلومات في غايه الأهمية لما تحتويه من مادة خبرية تمكننا من التأريخ للأندلس بعد تسليم غرناطة وإقرار قرار الطرد النهائي سنه 1609م بأمر من الحاكم فليب الثالث. (زروق. 1998. ص10)

لذا يمكن اعتبار هذا النص أهم مصدر تاريخي أندلسي كتب بعد صدور قرار الطرد الأندلسيين، علاوة عن كون مؤلف الرحلة يمثل دور المثقف الباحث عن هوية حجبت منه لفترة من الزمن بسبب ممارسة سياسة الاقصاء، فيأخذ دور الشاهد على مجريات عديدة أخفقت الذاكرة العربية في ابرازها. (الشمالي. 2015. ص 971)

كما تكمن لنا أهمية النص في تغيير موازين التأثر والتأثير؛ إذ نلمس تأثر الغالب بالمغلوب على عكس العام وعلى عكس ما جاء في كتاب كربخال، ويعود السب في ذلك الى أزمة الهوية التي أحدثها الآخر في ذهنية الأنا لدى صاحب الرحلة. (الشاملي. 2015. ص 973)

ثالثّا: الأندلس قبيل سقوط غرناطة؛ تأزّم العلاقات بين سلاطين بني الأحمر واستغلال الملوك النصارى لذلك:

يعدّ التصادم والشقاق الحاصل في صفوف الأسرة النصرية من أهم النقاط التي عجّلت بسقوط غرناطة، إذ شهدت العلاقة بين الأب والابن والعمّ حروب ضارية خلال العشر سنوات الأخيرة من الحكم الإسلامي في غرناطة، "فبينما كان

يسعى الملكيين الكاثوليكيين في الفتح ... كان المسلمون كان المسلمون يتحاربون فيما بينهم بضراوة" (كربخال. 2013. ص. ص: 115. 117)

وكمثال عن التفرق القوى وضياع التلاحم هو تعيين النصارى للملك أبو عبد الله الصغير بن علي بن سعيد، المعروف بالزغيبي (892-897هـ/1487-1491م) على كلّ المناطق الممتنعة عن طاعته لطاعة عمّه وأبيه، فوفروا له العتاد وطلبوا منه محاربتهم، ففعل ما أمر منه وبهذه الطريقة تمكّنت السلطات الإسبانية من تقسيم قوّات عدوها والمحافظة على ما أخذته من مناطق من المسلمين. (كربخال. 2013. ص 122، فرحات. 1993.ص58)

ولم يتوقف الأمر هنا فقط؛ بل عملا الملكان الكاثوليكيان على جعله مواليا لهما، يشن الحرب باسمهما على كامل المسلمين المعارضين لحكمهما، ويؤذي الإتاوة كحق لهما كل عام، وبهذا كان الزغيبي يحارب أبوه وعمّه وكل البلدان الثّائرة لصالح النصارى. (كربخال. 2013. ص118)

كما نجد مثالا آخر فيما يخص الإنقسام، وهو تحالف أبو عبد الله محمد بن سعيد الزغل (890-892هـ/1485-1487م) مع الملك النصراني، داعيا أهاليه ورعيته لطاعة النصارى وخدمة الجيش النصراني ضدّ ابن أخيه الزغيبي في مقابل حصوله على بعض الامتيازات. (كربخال. 2013. 134، فرحات. 1993. ص58)

ونلمس جليا استغلال النصارى لشقاق الحاصل بين صفوف أسرة بنو الأحمر، من خلال علاقة الملكين الكاثوليكيين بالملك الزغيبي، بعد تعيينه ملكا على غرناطة والاتفاق معه على تسليمها في حال تمكّن من كسب مدن عمّه في أجل مدّته 30 يوما لينعما عليه ببعض البلدان أين يعيش هو ورعيته. فكتبت للزّغل بأن يسلّم بلدانه لحم ابن أخيه في أجل أقصاه 6 أشهر، وإلاّ فأنهم سيحاربونه ويأخذونها منه عنوة، وقد حدث ذلك بالفعل. (كربخال. 2013. ص129)

وبعد كلّ هذا لم يتبقّ للزغيبي إلاّ أن يفي بعهده ويسلّم غرناطة، فتردّد في بادي الأمر بسبب النّمو الديمغرافي الذي شهدته في أعوامها الأخيرة، خصوصا وأنّ كل مسلمي المناطق التي طالها الإسترداد لجأوا إليها لاعتبار أنّها تحت الحكم الإسلامي. لكن السلطة السياسية الإسبانية عرفت كيف تروضه، من خلال منحه لبعض الامتيازات في منطقة البُشَرّات، هذه الأخيرة التي عرفت ثورة مهولة سمّيت نسبة لها سنة 1501-1502، أخمدها الإسبان بطرائق وحشية ولا تمتّ للإنسانية بأي صلة. (كربخال. 2013. ص-ص 136-137، زروق. 1998. ص60)

رابعا: تسليم الزغيبي مدينة غرناطة للنصارى وما جاء في وثيقة التسليم.

يشكل حدث سقوط غرناطة بحكم النصارى، الحدّا الفاصل بين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية المسيحية، وبين سقوط الأولى وقيّام الثّانية في البلاد الإسبانية حدث ما يعرف بنكبة مسلمي الأندلس، فجبلوا على اتباع القوم الغالبين لاعتبارهم قوم مغلوبين. (الفزاوي. 2020. ص 106)

1/ هدنة ما قبل تسليم غرناطة:

طلب الزغيبي قبل الشروع في تسليم مدينته للنصارى هدنة، ليتمكن خلالها من وضع وثيقة التسليم، موضحا في طياتها بنودا اعتبرت أهم الحقوق والشروط والامتيازات التي استسلم بها المسلمون في الخضوع لحكم النصارى.

وخلال فترة الهدنة حاول النصارى إرضاء الزغيبي بكل ما يملكون من حيّل -لأجل ألا يتردّد عن قرار التسليم-، فأنعموا عليه بمجموعة امتيازات والمتمثّلة مجملها في: (كربخال. 2013. ص-ص 144-147)

- أنّ له الحرية التّامة في العيش في أي موضع يقوم باختياره، مع ضمان الحفاظ على كلّ صلاحياته عند التسليم.
- أن تسلّم له كامل البلدات وأمكنة الطاعات الموجودة في البشرّات ليعيش فيها مع رعيته المسلمة، ويحق له التحكّم فيها كيفما أراد مع كلّ الجبايات والنحلات والحقوق والمستفادات المتنوعة لتصير تحت ملكه.
- الحفاظ على كامل الأملاك الخاصة بنساء الأسرة الملكية الموجودة في البشرّات، وعدم التعرض لها لا بالنصب ولا بالجور.
- الحرص على إبقاء أصول المسلمين في أيديهم ورد ما أخذ منهم، أو محاولة تعويضهم بقدره من المال.
- بمجرد أن يسلّم لهم كامل القلاع التي كانت تحت حكم بي الأحمر بغرناطة؛ فإنّه سيأخذ في المقابل مبلغا ماليا قدره 30 ألف دينار قشتالي، والمساوي لأربعة عشرة مليون وخمسة مائة وخمسين ألف دينار مرابطي.
- سوف يتم تسهيل عملية المرور إلى بلاد المغرب لكل من الأسرة الملكية، أهل بيتها، وقوّادها، وخدّامها ووصفائها متى شاءوا، كما ستعمل السلطات على توفير وسائل لأجل العبور، مع السّماح لهم لأخذ كلّ ممتلكاتهم الثمينة وكل هذا مجاني، مع الحرص الشديد على سلامتهم في النفس والبدن والمال.

لكن ثمّ قرن هذه الامتيازات بشرطين، وهما تسليم المدينة في مدّة زمنية أقصاها أربعون يوما، تبدأ منذ اليوم الذي يتم فيه وضع الوثيقة، بالإضافة إلى تقديم رهائن للسلطة الإسبانية كدليل على قبول تسليم القلاع، والاتفاق على أنّه متى سُلِّمت تمّ إطلاق سراحهم. (كربخال. 2013. ص148)

2/ أبعاد بنود وثيقة تسليم غرناطة:

تعرف وثيقة تسليم غرناطة بأنّها الوثيقة التي أسّست لبداية تاريخ جديد للأندلسيين ومدينتهم، وقد تمّ عقدها يوم 21 محرم 897 هـ الموافق ل 28 نوفمبر 1491م، كان الغرض الأساس من عقدها هو حفظ الحقوق الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية للمسلمين بعد تغيّر الحكم الإسلامي بالنصراني، وقعت من طرف الحاكم المسلم والحاكمين الكاثوليكيين ونالت موافقة البابا ويتمّ التسليم الحقيق لمدينة يوم 02 جانفي 1492. (كرخال. 2013.ص، ص 140، 144، 158. عناد. 2018. ص 49.)

فاتفق بعد توضيح هذه الامتيازات والشرطين الملك الغرناطي على توثيق معاهدة الاستسلام، موضّحا فيها بنودا اعتبرت شروط قبوله التخلي عن الحكم وتسليم المدينة للملك الإسباني. وسنحاول بعد تحليلنا لخطاب الوثيقة تقسيم هذه البنود حسب الابعاد التي تناولتها، وهي كالتالي:

2-1/ بنود ذات بعد سياسي: وتتمثل في:

- قبول السلطة الاسبانية الحاكمة لكامل الاندلسيين المسلمين عامّة وخاصّة، متى سُلّمت القلاع؛ كرعايا شرعيين وموالي لها آمنين على ذمّتها وفي جوارها الملكي. مع الحفاظ على أحقيتهم في التصرّف في ممتلكاتهم العقّارية مدى الدّهر، وفي حال حدوث إختراق لهذا البند يجب رفع الأمر إلى الحاكم بدعوة قضائية للفصل في القضية. (كربخال. 2013. ص149)
- من يرغب بالخروج من إسبانيا والمرور إلى بلاد المغرب أو إلى أي بلد، بإمكانه ذلك، مع قدرته التّامة على بيع أملاكه لمن أراد ومتى أراد، ولن يستطيع حيازتها منه أي شخص؛ إلاّ بواسطة عقد بيع وشراء. (كربخال. 2013. ص150)
- تحديد مدّة 3سنوات، كمدّة يستطيع أي شخص مسلم خرج فيها من إسبانيا إلى أي بلد مهاجرا -لكنّه لم يستطع الاستقرار بالبلد الجديد– العودة إلى إسبانيا من دون أي عراقيل، وبقبول تام من طرف السلطة الحاكمة. (كربخال. 2013. ص-ص150-151)
- الإستفادة التّامة والّدائمة لكلّ من المسلمين واليهود من جميع بنود الوثيقة، مع حرية اختيّارهم لخيار المرور إلى البلاد المغربية في حال لم يقبلوا التنصّر في أجل أقصاه 3 سنوات. (كربخال. 2013. ص151)

2-2/ بنود ذات بعد اجتماعي: وتتمثّل في:

- عدم تمييز المسلمين عن النّصارى كفئة اجتماعية، من خلال وضع علامات خاصّة. (كربخال.2013. ص147)
- تسريح كامل الأعيان والوصفاء الذين تمّ أسرهم، مع تسليم جميع الأسرى المسلمين من غير عملية الافتداء، في أجل أقصاه ما بين 5 أشهر و8 أشهر بحسب المناطق والبلدات، وفي حال لم يتم تحرير البعض وتمكّنوا من الهروب بعد ذلك، فهم أحرار في أي زمان ومكان هربوا إليه. (كربخال.2013.ص-ص152-153)
- احترام حرية الجوار، ومن انتهكها من النّصارى عوقب على الفور. (كربخال.2013.ص148)
- الحفاظ التّام على العادات والتقاليد والأعراف المتّفق عليها من طرف المسلمين والمعمول بها، وعدم محاولة تغييرها أو طمسها مع مرور الزمن. (كربخال.2013. ص157)

2-3/ بنود ذات بعد اقتصادي-مالي:

- عدم فرض مغارم لا على العامة ولا الخاصّة، ما عدا الأعشار المعمول بها والمتعارف عليها وفق برنامجها الزمني. (كربخال. 2013. ص،ص 153،152،151)

- الحفاظ التّام على ملكية المسلمين لأملاكهم من عقارات وأموال، وعدم حيازتها مع مرور الوقت، وعدم مطالبتهم بعد مرور مدّة 3 سنوات بإخراج ما يزيد عمّا يحدد قانونيا على كامل أملاكهم. (كربخال. 2013. ص،ص 146، 155)
- حرية تنقل المسلمين في كامل البلاد الإسبانية مع إمكانية خروجهم إلى بلاد المغرب لغرض الإِتّجار متى أرادوا. (كربخال. 2013. ص154)
- أملاك المسلمون من عقار ومال تبقى لهم وإن عبروا إلى الضفّة الشرقية للبحر المتوسط، ففي حال لم يتكّنوا من أخذها لأي سبب كان، يقومون بتعيين وكلاء يكلّفونهم ببيعها أو ارسالها لهم إلى حيث يشاؤون دون فرض من طرف السلطة الإسبانية.(كرخال. 2013. ص145)

2-4/ بنود ذات بعد القانوني-القضائي:

- العفو التّام على كامل السّجناء المسلمين، الذين تمّ سجنهم بتهمة قتلهم للنّصارى زمن الحروب، مع عدم مطالبتهم بتعويض ما أخذوه. (كربخال. 2013. ص153)
- الإبقاء على احتكام المسلمين فيما بينهم بشريعتهم، والفصل في دعاويهم بقانون السّنة، أمّا بالنّسبة للدّعاوي المختلطة بن مسلم ونصراني، فإنّه يجب أن يفصل فيها بوجود قاض مسلم وقاض آخر نصراني. (كربخال. 2013. ص، ص 150، 153)

2-5/ بنود ذات بعد ديني:

- الإلتزام والحرص على العمل بمبدأ حرية الاعتقاد وتطبيقه في كامل البلاد، مع عدم محاسبة كل من دخل في دين الإسلام قبل عقد وثيقة التسليم. (كربخال. 2013. ص، ص 150، 154)

- عدم ارغام وقهر أي مسلم أ مسلمة على التنصر من غير رضاهما، مع احترام الشعائر الإسلامية والإبقاء عليها. (كربخال. 2013. ص، ص 150، 152)

- الحفاظ على هياكل ممارسة العبادات مع كامل ملاحقها، وخصوصا دور الأوقاف. (كربخال. 2013. ص-ص 149-150)

- تفعيل عمل المحتسب من خلال حفظ الأكل، خصوصا اللّحوم مع العزل التّام لمجازر المسلمين على مجازر النصارى لتفادي وقوع أي اختلاط، وكذلك حفظ الماء، ويكون من خلال الحرص على نظافته وعدم نجاسته بالقاذورات أو المسكرات، والإبقاء على تراتيب مياه العيون والسواقي كما عرفت خلال الحكم الإسلامي. (كربخال.2013. ص،ص 148، 157)

2-6/ بنود ذات بعد عسكري:

- إبقاء السّلاح الذي هو ملكية خاصة للمسلمين في أيديهم عدم محاولة انتزاعه منهم مدى الدهر. (كربخال. 2013. ص150)
- عدم إرغام أي مسلم على الخدمة العسكرية في جيش النصارى، وفي حال تمّ إستخدام البعض –برضاهم- على الخيل، فإنّه تدفع لهم أجرتهم على كلّ يوم. (كربخال. 2013. ص 157)

3/ **أجواء يوم التسليم وما بعده**:

يمدّنا كربخال بوصف لظاهر وباطن الملك المسلم عند تسليم وثيقة الاستسلام والتخلي عن حكم غرناطة للملكين النصرانيين هرنندو وإليزابيت، فيقول أنّ ملامح الحزن والنّدم كانت بادية على وجه الزغيبي بوضوح تامّ، ولكن باطنيا فيصوّر لنا كربخال عدم رضا الملك المسلم بالتسليم وفق الشروط المتفق عليها، ويحاول تفسير رأيه هذا في الارتجاج الحادث في المكانة الاجتماعية للزغيبي؛ إذ انتقلت من صفة السيّد المالك إلى صفة المولى المملوك، وعليه فقلبه متقلِّب لا يرض بالاستبدال الحادث، وكذلك هو أمر الرّعية التي لم تبدِ رضاها على بنود التسليم، والسبب يرجع إلى أمور نفسية؛ إذ صاروا قوم مغلوبون. (2013. ص- ص 158-159)

ويمكننا هنا التعليق على رأي كربخال، فنقول أنّه أجاد وأخطأ، فمن المؤكد أنّ تسليم غرناطة لم يكن بالأمر الهين لا على الملك ولا على رعيته، فالسبب الرئيس في عدم إبداء القبول بالسلطة النصرانية – الاسبانية، يعود إلى معرفة الساكنة المسلمة للأندلس أنّ الصبغة الحقيقية والجوهرية التي شُنّت بها الحروب الصليبية بالبلاد منذ عهد ملوك دويلات الطوائف (ق5هـ/11م)، هي كونها عبارة عن حملات عسكرية-دينية، تحاول القضاء على الآخر (المسلم)، واقتلاع جدوره كلّيا، وهذا ما ترجمت له النكبة.

يقدّم كربخال وصف دقيق لأجواء التسليم من خلال تحدثه عن خضوع الزغيبي للحاكم الجديد لغرناطة "هرنندو"، وقيّامه بتقبيل يده، في حين تحفّظت الرعية مبدئيا؛ إذ قبعت يوم التسليم في الدّيار، لتقدّم طاعتها بعد مدّة قصيرة، بعد رؤيتها لسرور أعيان البلد وذهابهم للقصر الملكي لإبداء الموافقة على الحكم النصراني للبلاد من الانحناء للملكين الكاثوليكيين وتقبيل يديهما. (2013. ص، ص 162، 164)

4/ معاملة الملكين الكاثوليكيين للمسلمين في بداية الأمر:

تفطّن الملكين الجديدين لغرناطة بأنه لأجل استباب الأم والسلم مبدئيا بالمدينة لابدّ عليهما من تغيير السياسة الأولى التي اتباعاها مع الرعية المسلمة قبل التمكن من الاستلاء على غرناطة؛ فحاولا كسب الأهالي من خلال منحهم لامتيازات وإنعامات كثيرة، وتطبيق ما تمّ الاتفاق عليه لأجل القبول بالتسليم. (كربخال. 2013. ص165)

ويعود سبب هذه المعاملة إلى كون البلاد لم تؤمن بعد بصفة نهائية، فالفترة الزمنية وقتئذ لا تبعد كثيرا عن الحروب الضارية التي خاضها المسلمون ضدّ النصارى، وعليه فمعظمهم يمتلك أسلحة، ناهيك عن كونهم أهل البلد فهم يعلمون كل نواحيه وما ينفع من لطرائق الحربية في كل ناحيّة. (كربخال. 2013. ص172)

خامسا: مظاهر نكبة مسلمو الأندلس بعد سقوط غرناطة.

بمجرد أن ائتمنت النصارى عدم قيّام المسلمين بحروب ضد السلطة السياسية، تمّ خرق بنود معاهدة الاستسلام - وثيقة تسليم غرناطة-، فثمّ حينها التعدي على النفس والمال والدين، ومن بين الأساليب التي حورب بها الوجود الإسلامي. بإسبانيا الملكين "هرنندو" وإليزابيت" وما بعدهما. انطلاقا ممّا جاء في الكتابين موضوع الدراسة، نذكر:

1/ <u>التنصير القسري</u>:

يعود المرمول كربخال بالزمن قليلا إلى الوراء قبل تسليم غرناطة وبالضبط إلى سنة 1485، فيصوّر لنا أنّ المسلمين كانوا موافقين على الانضواء تحت إمرة النصارى، والدخول في دينهم من دون احداث أي مشاكل؛ بل بالعكس كانوا فرحين جدا بكونهم صاروا مدجنين وموالي لديهم. ويزيد عن هذا في الإقرار بأنّ الملكين كانا يحترمان حرية الاعتقاد، ومنحا المسلمين حرية العيش وفق شريعتهم، فلم يجبرا أحدا من على التنصّر، وإنّما المسلمون هم من رغبوا في الدخول في الدين الجديد من دون أي ضغوط ممارسة عليهم. (2013. ص121)

لكن بعد سنة 1492، استثقل رجال الدين وجود مسلمين يعيشون ببلدهم فطلبوا من السلطة السياسية إقرار عملية التنصير، فتمّ ذلك سنة 1495؛ وعليه صار التنصير حينها إجباريا. ففوضا الملكين لأجل ذلك مطارنة مؤهلين، مع توصيتهم بالحرص على اتباع سياسة حسنة أثناء عملية التنصير لأجل تفادي حدوث أي مقاومة أو ثورة، فلجأ المطارنة إلى البدء بالفقهاء والمرابطين وأهل الرأي، من خلال مجادلتهم بالتي هي أحسن في أمور دينهم، وإغرائهم من خلال الإنعام عليهم بامتيازات لأجل التأكد من كسبهم، والاعتماد عليهم في تنصير العامة. (كربخال. 2013. ص، ص 171، 174، 177)

ويصوّر لنا كربخال أنّ عملية التنصير جرت وفق ما خطّط له، فقد كان يذهب المسلمون إلى دار العقيدة، وهي المكان المخصص لمن يرغب في التنصّر، ويتحدّث عن حسن تعامل المطارنة مع المسلمين واجتهادهم في استدراجهم لتنصّر في قوله: "كسبت بالتدبير الحسن والعمل الحذق واليقظة والصّلوات، وأنموذج الحياة الصّالحة ... إذ الله بركة فيها، شغلت خواطر المسلمين ... حتى لم يكن أي شيء أكثر تقديرا ولا أكثر تبجيلا ولا أحب إليهم من أن يصل إلى أسماعهم من اسم رئيس الأساقفة الذي كانوا هم يسمونه فقيه النصارى الأكبر". (1013. ص، ص 167، 168)

لكن هذا لم يمنع من قيّام بعض الثّورات ضدّ حركة التنصير، إذ قاد أحد لأعيان المعروف ب"الثّغري الساطور" الذي كان من الرّافضين وبشدّة تنصُّر المسلمين، وفي لفته يمرّ كربخال على الحديث عن عملية قبضه وترويضه من طرف السلطة الدينية، فيتساءل عن السبب الذي جعله يغّر رأيه تجاه حركة التنصير، هل لاقتناعه التّام بالدين الجديد وانفتاح بصيرته أم القوة التي طبقت عليه في حبسه الضيق، وعلى الرغم من كونه يرجّح السبب الأول، إلاّ أننّا نرجح السبب الثّاني. (2013. ص176، زروق. 1998. ص، ص 59، 60)

كما نجد إشارة إلى ثورة مسلمي البيازين الرّافضين هم كذلك لحركة التنصير، لكن السلطة السياسية والعسكرية الإسبانية عرفت كيف تعالج أمرها وإن استصعب عليها ذلك في البداية، إذ دامت لمدّة عشرة أيّام لم تتمكن فيها الشرطة من إخمادها من خلال ترويض الهاتفين بالحرّية والقيام ضدّ السلطة السياسية الخارقة لبنود وثيقة التسليم، ليتمكن

أخيرا الأساقفة من إخمادها بأقل الأضرار الممكنة بالنسبة لهم، أمّا بالنسبة للمسلمين فقد تمّ اللجوء إلى تطبيق أساليب وحشية لا تمت إلى الإنسانية بأي صلة، وهي ما اصطلح عليه ب"محتكم التفتيش"، وأهم وسائلها الحرق. (كربخال. 2013. ص – ص 178 – 179)

لكن على الرغم من كلّ هذا بقي هناك من المسلمين من لم يتنصّر إلاّ ظاهريا، فلجأوا إلى اعتماد "مبدأ التقية"، وهو ما دفع السلطات الإسبانية تتخذ خطوة أبشع من التنصير ومن التعذيب وهي التشتيت من خلال الطرد النهائي المسلمين، وبالنسبة لموضوع التقية يقول كربخال: "ولو شاء الأندلسيون أن ينسوا الشعائر والكسى والعوائد التي كانت تجمعهم بالنحلة الإسلامية وقدّروا قدر كونهم نصارى، وقدر ظهورهم بمظهره النصارى في كلّ شيء، وهو شيء لم يكم قط يدركوه" (2013. ص184)

وهذا يمكّننا من القول أنّ المسلمين لم يتنصّروا طواعية، بل كانوا مرغمون على ذلك، بسبب التعذيب الذي كانوا يعانونه في حال أبدوا الرفض أو المقاومة، فلجأوا إلى التعايش بثنائية دنية، الظاهرية منها هي التنصّر وإتباع المسيحية، أمّا الباطنية فهي محافظتهم على إسلامهم وشعائرهم.

2/ طمس الهوية العربية الإسلامية:

نرصد هذا من خلال حديث أفوقاي في رحلته عن خوف العامة من كلّ من يحمل كتابا بالعربية، جرّاء ما كانت تفعله النّصارى بحامله وأي شخص أخفى عنهم خبر حامله، وتطّر أمر الخوف هذا حتى أصبح الأندلسيون لا يثقون في بعضهم البعض، ولا يتكلّمون في أمور دينهم وإن سئلوا فيها؛ إلاّ مع من كانت تربطهم به علاقة وطيدة. (الحجري. 2004. ص 34)

وقد لجأ المسلمون الأندلسيون إخفاء الهوية العربية عن النصارى عن قصد وتعمّد، حتى وإن اكتشفوا تمكّنهم من القراءة بالعربية، وذلك بسبب العقوبات الصّرمة التي كانوا يتعرضون لها من طرف الحرّاقين، ويفسَّر سبب عدم إظهارهم لتمكّنهم من فهمهم وقراءة العربية لما كانت النصارى تحكم به ضدّهم. (الحجري. 2004. ص –ص 29-30)

أمّا بالنسبة للهوية الإسلامية فقد طمست من خلال التنصير، وعمل النصارى على منع المسلمين من المجاهرة بالشهادة، بالإضافة إلى عمل السلطتين السياسية والدينية على وتحويل المساجد إلى كنائس، والقيّام بحرق عدد كبير من مجلّدات الكتب التي تتعلّق بالدّين الإسلامي. (الحجري. 2004. ص 45، كربخال. 2013. ص، ص 174، 176)

3/ التعذيب والقتل:

لجأت السلطات الدينية والسياسية الإسبانية إلى تأسيس ما يعرف بمحاكم التفتيش، فخصّصت لهذه المهمة جواسيس تنتشر في كل مكان وقد كان عددهم يتخطى الألف، فاختارت منهم الكهنة والأطباء والمعلّمون وجنّدتهم لخدمة الكنيسة من خلال تكليفهم بتقصي الأندلسيين الذين لا يظهر عليهم التنصّر، فطارد ديوان التفتيش حينها كل من اليهود والمسلمين الذين لا وجود للتنصّر في مأكلهم وملبسهم وعرضوهم للتعذيب الوحشي والتقتيل الجماعي لإبادتهم. (مظهر. دت. ص، ص 63، 70)

و نستشف الأساليب المعتمدة في عملية التعذيب من خلال إشارة أفوقاي عد حديثه عن تخوف الأندلسيين من كلّ من يحمل كتابا عربيا إلى مصطلح "الحرّاقين"، فيقول: " ... الحرّاقين من النّصارى الذين كانوا يحكمون ويحرقون كلّ من عليه شيء من الإسلام أو يقرأ كتب المسلمين..."، ونجد إشارة بكتاب "تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة"، إلى أنّ آلية الحرق كأسلوب تعذيب اعتمد في بدايات محاكم التفتيش مع رئيس الأساقفة "مخيادي لاسارطي" عام 1577، فنُعِت بالمفتّش والحرّاق على غرار من سبقه من الأساقفة، إذ لم يحمل ولا أحد منهم هذا اللّقب. (الحجري. 2004. ص 34، كربخال. 2013. ص 169)

أمّا بالنسبة للقتل فنستشف من خلال ما جاء في رحلة أفوقاي نوعين منه القتل الفردي والجماعي، فبالنسبة للفردي نجده عندما تحدّث عن خوفه من الذهاب عند القسيس الكبير الذي أمره بالمجيء عنده، لأجل قراءة الرق الذي وجده والمكتوب بالعربية، كما يتحدث عن القتل الجماعي عند ما تعرّض له مسلمو مدينة إشبيلية عندما قاموا ضدّ السلطة، فيمدّنا بعدد كبير تعرّض للقتل دفعة واحدة ألا وهو 140 رجلا من الأعيان، ويُرجع أنّ السبب الرئيس وراء القتل لم يكن لأجل تنقية الدّم بالأساس بقدر ما كان نهب الأموال. (الحجري. 2004. ص،ص 30، 40)

4/ الطرد النهائي:

مارست السلطات السياسية والدينية خلال القرن 15 و16 الميلاديين على مسلمي الأندلس سياسة الطرد، ولكن كانت تلجأ إليها كخيار في الحالات التي لم يتنصّر أصحابها مع الإصرار على عدم التنصّر، فعاقبتهم إمّا بالموت، أو خسارة الأملاك، أو الخروج من البلد، وعليه تمّ تخيير المسلمون الأندلسيون بين التنصّر والبقاء بإسبانيا، أو رفض التنصرّ والخروج منها. (كربخال. 2013. ص، ص 175، 182، 184، 187)

لكن الأمر تفاقم مع بداية القرن 17م، إذ مارست عملت السلطة السياسية على سن قانون الطرد الجبري والنهائي لكل من هو غير نصراني، أو من شكّ في حال تنصّره. وتمدّنا رحلة أفوقاي فيما يخصّ هذه النقطة بمعلومات جد مهمة، والتي سنحاول توضيحها كالتالي:

4-1/ <u>أسباب الطّرد</u>:

- تأكد السلطات الإسبانية السياسية والدينية من اعتماد المسلمين لمبدأ التقية، إذ غالبا ما تمّ الكشف عن ظهور الإسلام عليهم، وعند التحقق في أمرهم يجدونهم مسلمون، الأمر الذي جعلهم لا يؤتمنوا، وبالتّالي لابدّ من إخراجهم في أقرب وقت، وهنا يتّضح لنا جليا قانون "تصفية (تنقية) الدّم الإسباني النصراني من الدّم الأندلسي المسلم"، فعلى الرغم من مرور قرنين من الزمن من تسليم غرناطة للنصارى، وتعايش المسلمين والنصارى في إسبانيا وتمازجهما بعد التنصّر -ولو الظاهري منه-، إلاّ أنّ السلطة السياسية والسلطة الدينية ظلت ترى الأندلسي ابنا غير بار لسلالة غير مسيحية، وبالتالي فهو غير نقي الدّم، ووضعه أقل شئنا من المسيحيين القدامى. (الحجري. 2004. ص113، الجباري. 2012. ص 448)

- تخوّف السلطات الإسبانية من قيام المسلمين بحركات مناوئة وتمكّنهم من استرداد أمجاد أجدادهم، خصوصا بعد التزايد المرتفع لأعدادهم، وهذا راجع إلى كونهم لا يخضعوا إلى الحروب، ويتكاثروا بالتزوج على غرار النصارى الذين معظمهم كان مهتم بالرهبنة أنداك. (الحجري. 2004. ص113)
- استغاثة الأندلسيون المسنون المصطلح عليهم ب"الجدود" بسلاطين وملوك الإمارات المحيطة؛ إذ استغاثوا بسلطان مصر وسلطان المغرب والسلطان العثماني والملك الفرنسي عبر سنوات مختلفة، يطلبون نجدتهم فيما يتعرضون له من تنصير إجباري وتعذيب وحشي وقتل جماعي وخرق تام لبنود قرار التسليم، فتخوّفت حينها السلطة الإسبانية من الاتفاق عى رأي واحد وهو نصرة الأندلسيون ومحاربة ملوك إسبانيا. (الحجري. 2004. ص، 52. كربخال. 2013. ص 183. الشمري والمعموري. دت. ص-ص 187-189)

2-4/ <u>إجراءات ما قبل الطّرد</u>:

- القيام بإحصاء مسلمي الأندلس زمن حكم فيليب الثاني (1556-1598م) حيث أمر بتسجيل جميع المسلمين رجالا ونساء، صغارا وكبارا، وحتى الذين في رحم أمّهاتهم متى اتضح عليهن الحمل، وذلك بعد القرار الذي تمّ إبرامه في مؤتمر مدريد للجمعية الوطنية (الخلنتا) سنة 1567م. (الحجري. 2004. ص 116.المري والمعموري. دت. ص 184)
- القيّام بإحصاء مسلمي الأندلس مرّة ثانية زمن فيليب الثّالث (1598-1621)، والذي جاء بعد الإحصاء الأوّل بحوالي 17 سنة، ويفسّر سببه بمحاولة معرفة حكّام إسبانيا هل المسلمون في زيّادة؟ وأنّه بمجرّد معرفتهم للإجابة تمّ إخراجهم. (الحجري. 2004. ص 116. الشمري والمعموري. د ت. ص 187)

عملت الإسبانية بعد الانتهاء من الإحصاء والتسجيل على إخراج مسلمو مدينة بلنسية أوّلا، وذلك خلال سنة 1010هـ/1602م، ويعود السبب في الابتداء بهم لاعتبار أنّهم هم من أرسلوا يستغيثون بملك فرنسا. ليتمّ بعدها العمل لما جاء في القرار والإخراج الاجباري لبقايا الأندلسيين ودامت فترة التصفية هذه ما يقارب 8 سنوات من 1012هـ-1020 هـ/1604-1612م)، لكن الأصح أنّ عملية الطرد بدأت يوم 22 سبتمبر 1609، لتستمر حتى 1614، وقد تمّ طرد حوالي 350.000 رجل وامرأة وطفل من وطنهم قسرا خلال هذه الخمس سنوات (الحجري. 2004. ص، ص47، 116-117. عبد المؤمن. 2016. ص157. الجابري. 2012. ص 453. Chalkha.2015. p140)

3-4/ <u>بنود قرار الطرد</u>:

يعتبر صدور مرسوم الطرد القسري للمسلمين الأندلسيين، نقطة تحوّل جوهرية في قضية الشتات الاندلسي؛ إذ أنّ هدف الملك الإسباني من في تنقية إسبانيا من الدّم غير النصراني، ومحاولة إصدار لحل طالما أقلق السلطة الدينية، وقد بدأ العمل به رسميا بتاريخ 09/ 12/ 1609م. (عبد المؤمن. 2016. ص157)، وسنحاول هنا إدراج بنود القرار إنطلاقا ممّا جاء في رحلة أفوقاي، ومجملها أربعة بنود:

- المناداة في الأماكن المحدد منها الخروج، وهي أماكن تواجد المسلمين عموما، وعند المناداة بالقرار يتوجب التوجه نحو السفن المعدّة لغرض الإخراج وهي مصفوفة في أماكن معيّنة، مع التركيز على تبيّان أنّه لا يسمح لأي أحد أخذ ماله كاملا، إلاّ ما استطاع حمله ويجب ترك الباقي سالما؛ إذ أنّ كل من يدفن شيئا من الأمتعة التي لا يمكنه الجواز بها إلى البلاد المغربية، أو يتلف شيئا من الزرع أو الأشجار يقتل مباشرة من طرف جيرانه النصارى، وأنّه عند سماع النّداء لا يجب الخروج إلاّ مع القادة، لأجل التأكد من عدم الهروب، وليعلموا أنّ إخراج فليب الثالث لهم لا يعني إلحاقه للضّرر بهم، فهو يلزم قوّاد السفن بعدم مضرتهم لا في النفس ولا في المال، وسيعمل على معاقبة كل من يخالف ذلك، ولأجل سلامتهم سيخصص لهم مالا للإنفاق عليهم وكراء سفنهم، وأنّه يجب على 10 منهم العودة إليه حال وصولهم إلى المغرب آمنين. (الحجري. 2004. ص-ص 118-119)
- الأيتام والأولاد الذين لم تبلغ أعمارهم 4 سنوات بعد، يعود إليهم الخيار في الخروج من إسبانيا أو عدمه مع رضاء وكلائهم وأوصيائهم على ذلك. مع الاستثناء التّام -من عملية الخروج-لأولاد الأم النصرانية والأب النصراني (الحجري. 2004. ص 119)
- الإبقاء على ستة أشخاص من مسلمي الأندلس مع أولادهم الذين لم يتزوجوا بعد، من كل مقاطعة تحتوي على 100 دار، وذلك لأجل الاهتمام بأمور الفلاحة، ورئيس المقاطعة هو من يقوم باختيارهم، على أساس شرط أ يكونوا ممّن ظهر عليهم الميل إلى الدين النصراني. (الحجري. 2004. ص118)
- كلّ نصراني يساعد مسلم في الهروب أو الاختباء عند المناداة، أو يأخذ ذخائره، يخضع للعقاب وهو التهجير لمدّة 6 سنوات أو أكثر. (الحجري. 2004. ص118)

4-4/ إجراءات تنفيذ قرار الطرد النهائي:

مثلما فُنِدت بنود وثيقة التّسليم؛ إذ عانى المسليون جرّائها من الخضوع للتنصير الإجباري، وهمجية التعذيب والتقتيل في محاكم التفتيش، تمّ تفنيد بنود قرار الطرد النهائي؛ إذ نقض تماما ما جاء في الوثيقة من حفظ المال والنفس، بالإضافة إلى أنّ المسلمون هم من قاموا بكرية السفن بأموالهم الخاصّة وأنّ الحاكم الإسباني لم يتكفّل بهم أبدا، علاوة عن أنّ كلّ من وافق على الهجرة أخذت منه أولاده (اناثا وذكورا) الأقل من عمر السبع سنوات. (الحجري. 2004. ص119)

سادسا: مقارنة بين الكتابين محل الدراسة من حيث الأهمية والقضايا المتطرق إليها.

سنحاول في هذا العنصر الحديث عن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بالنسبة للكتابين موضوع الدراسة وعلاقتهما بالتأريخ لنكبة مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م.

1/ أوجه التشابه: لا يمكننا تحديد وجه تشابه بين المصدرين ما عدا أهمية كلاهما في التأريخ لنكبة مسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة بيد النصارى، وإشارتهما إلى نقد بنود وثيقة التسليم من خلال إجراء تنصير قسري للأهالي المسلمة، ومحاولة طمس الهوية العربية الإسلامية، بالإضافة إلى اللّجوء إلى آليات لا تمت للإنسانية بصلة لردع الحركات المقاومة،

لتنتهي هذا الاضطهاد بإقرار قانون الطرد النهائي لكافة مسلمي غرناطة وهو ما يعرف بالشتات الأندلسي (كربخال. 2013. ص، ص 121، 169، 171، 174-179، 182-184، 187. الحجري، 2004، ص، ص 29، 30، 34، 40، 45، 47، 52، 113، 116-119)

2/ أوجه الاختلاف: أمّا بالنسبة لأوجه الاختلاف فهي كثيرة ومتنوعة، وسنحاول توضيحها من خلال:

2-1/ نوع الكتاب: الكتابان مصدرا الدراسة يختلفان من حيث النوع، فكتاب "تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة" للويس دي المرمول كربخال نص تاريخي، وإن وجدت به الكثير من المعلومات الجغرافية، أمّا كتاب "مختصر رحلة أفوقاي الأندلسي" هو عبارة عن نص جغرافي ينتمي إلى أدب الرحلة. وعليه فمن المؤكد أنّ منهجي المؤلفين مختلفين طباقا لاختلاف النص.

2-2/ المواضيع المتطرق إليها:

يمكّننا كتاب "تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة من المعرفة الصّراع القائم بين سلاطين مملكة بنو الأحمر والسبب الذي جعل الزغيبي آخر ملوكهم يسلّم الحكم للنصارى من خلال توثيقه لوثيقة التسليم يوم 28 نوفمبر 1491م، كما يشير الكتاب إلى مواضيع عديدة، مثل الاستراتيجية المتبعة من طرف الجيش النصراني والسلطات السياسية والدينية الإسبانية في ترويض الثورات والمقاومات التي قامت بها السّاكنة الأندلسية قبل وبعد سقوط غرناطة، كما يمدّنا بمعلومات جد مهمة في موضوع بحثنا "نكبة مسلمو الأندلس بعد سقوط غرناطة"، إذ يتطرق إلى الحديث عن عملية التنصير الإجباري التي عاشها المسلمون، بالإضافة إلى طمس الهوية واللّجوء إلى اعتماد وسائل وحشية في ترويض المقاومين، ناهيك عن أهميّته البالغة في التأريخ لحدث تسليم مدينة غرناطة وتحّل حكمها من الحكم الإسلامي إلى الحكم النصراني، فيمدّنا بأسباب التسليم وإجراءاته، شروطه وبنود الوثيقة. (كربخال. 2013. ص، ص 115، 118، 121، 122، 124، 136-137، 144-157، 162-169، 171-179، 184-187)

أمّا بالنّسبة لكتاب "مختصر رحلة أفوقاي الأندلسي"، على الرغم من كون معظم المادة هي عبارة عمّا جاء في مناظراته مع النصارى حول قضايا التوحيد والإيمان والطهارة، إلاّ أنّ هذا لا يفند وجود مادة خبرية به حول موضوع الدراسة، ألا وهو "النكبة"؛ فقد أمدّتنا بمعلومات حول عملية التنصير التي تعرّض لها الأندلسيون على مدى ما ينيف عن قرن من الزّمن، بالإضافة للإشارة إلى محاولات طمس الهوية العربية الإسلامية، لكن تبرز الأهمية الحقيقية للكتاب في ترجمة أفوقاي لنص الطرد النهائي للأندلسيين من أراضي إسبانيا المسيحية. ففيما يخص موضوع الطرد يزوّدنا نص أفوقاي بأسباب الطرد، وإجراءاته، وبنود القرار. (الحجري. 2004. ص، ص 29، 30، 34، 40، 116-119)

3-2/ المصطلحات:

كما هو معلوم فإنّ الكتابين يعودان بالتأليف إلى شخصين مختلفين في الانتماء الديني والسياسي والتاريخي، بحيث أنّ المرمول كربخال صاحب "تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة" مؤرخ إسباني توفي في حدود 1600م، معايش لأحداث نقد بنود التسليم من طرف الملكان هرنندو وإليزابيت، علاوة عن كونه ناظر على التموين في الجيش الملكي،

إضافة إلى كونّه ألّف كتابه هذا لأجل أخذ حظوة لدى السلطات السياسية الحاكمة، فكان يرى من الضروري الإشادة بإنجازات النصارى في قمع للثورات الأندلسية، من خلال التركيز على الغالب والانقاص من حجم المغلوب، وقد استعمل في حق هذا الأخير مصطلحات عنصرية. في حين كتاب "مختصر رحلة أفوقاي الأندلسي" لابن أحمد الحجري التي كتبت من طرف شاهد أندلسي عايش أحداث النكبة قبل فراره من إسبانيا وبعدها، وقد كتب كتابه هذا بأمر من العالم المصري الشيخ الجوهري.

والواضح هو اختلاف المصطلحات المعتمدة في كل مصدر، فنجد مثلا المرمول كربخال عندما يتحدث عن البلاد يطلق مصطلح إسبانيا، أمّا أفوقاي فلم يرض إلاّ أن يقول الأندلس، ما عدا أنّع أدرج أربع مرّات مصطلح إشبانية وحاء بعد مرتين قوله " وأعني بها بلاد الأندلس" (2013. ص، ص 52، 59. الحجري. 2004. ص، ص 19، 20، 28، 29، 30، 34، 35، 38، 40، 41، 43، 44، 47، 48، 49، 52، 53، 58، 59، 65 70، 77، 78، 83، 88، 96-100، 1013، 105، 109، 110، 112، 113، 115، 116، 119، 133)

كما نلحظ إتفاق المصدرين على إطلاق مصطلح كافر على الطرف الآخر، وورود مصطلح الحرّاقون عند كلاهما، وهم الأشخاص الذين نعتوا به بسبب قيّامهم بعمليات الحرق أثناء محاكم التفتيش التي كان يعذّب بها المسلمون الرّافضين للتنصّر أو اللاّجئين للتقية، إضافة إلى مصطلح "المدجنون" الذي ورد عند أفوقاي مرة واحدة بمعنى اللفظ الذي أطلقه "الأتراك على المسمى الأندلس" الفّارين من إسبانيا، أمّا عند المرمول كربخال خمس مرّات وجاء بمعنى مسلمي الأندلس الذين لم يرضوا بالانضواء في دين النصارى. (الحجري. 2004. ص، ص 34، 43، 45، 52. 2004. ص، ص 169، 79، 121، 132، 132، 139، 187)

ولكن الغريب هو أنّنا نجد المؤلفان يتفقان على إطلاق مصطلح "الأندلسيون"، على السّاكنة المسلمة، ومن هنا نتأكد أنّ مصطلح "المورسكيون" المعتمد في الدراسات الحديثة لم يطلق عند المؤرخين الإسبان لا بعد فرار مسلمو غرناطة عند عدم الالتزام بنود وثيقة التسليم، ولا عند العلماء المسلمين أثناء إقرار الطرد النهائي، وأنّ المصطلح المعتمد حتى العقد الثّاني من القرن 17م على هذه الفئة هو مصطلح "الأندلسيون" (كربخال. 2013، ص، ص 53-55، 59، 74، 75، 135، 148، 169. الحجري. 2004. ص، ص 19، 20، 28-30، 34-36، 38، 40، 47، 48، 52، 53، 59،58، 65، 70، 77، 78، 88، 99، 105، 112، 113، 115، 116، 118، 133)

وهذا ما أكّده بعض الباحث عبد لعزيز بن عبد الله فب بحثة الذي جاء بعنوان "الأندلسيون لا المورسكيون"، ويذهب الباحث أحمد بن رمضان إلى القول أنّ مصطلح موريسكيين (Moriscos) مشتق من مصطلح مورو (moro)، ولكن لاحقته إسكو (iscos) تحمل وصف مهين لمسلمي إسبانيا، والذي يجعلهم في مصاف غير المصاف الذين يوضع فيه غيرهم من المسلمين فهم عبارة عن مسيحيين في المجتمع الإسباني ومسلمين مشفرين في المجتمع المغربي عند لجوئهم إليه بعد قرار الطرد النهائي. (بنعبد الله. 1982. ص53. 153-2015.p-p.151)

خاتمة:

وفي ختام بحثنا نصل إلى مجموعة من الإستنتاجات وهي:

يمكّننا إعتبار كلّ من كتاب "تاريخ ثورة وعقاب أندلسيي مملكة غرناطة" لمرمول كربخال، و"رحلة أفوقاي الأندلسي" لابن القاسم الحجري، مصدرين يعوّل عليهما في التأريخ للنكبة التي حلّت بمسلمي الأندلس بعد سقوط غرناطة، وذلك لما احتوى كل مصدر من مادة خبرية تمكّننا من معالجة المأساة التي حلّت بالأندلس والأندلسيين خلال الممتدة من نهاية القرن 15 م إلى بداية القرن 17م، أي لما ينيف عن قرنين من الزمن.

فقد مكّننا كتاب كربخال من معرفة العلاقة بين السلاطين الأواخر من دولة بني الأحمر، وإستغلال الملوك النصارى للشرخ الحادث بينهم في الوصول إلى مصالحها. بالإضافة إلى المعلومات الدقيقة جدّا حول وثيقة تسليم مدينة غرناطة، والإجراءات المتبعة قبيل وبعد التسليم، وأهم البنود التفق عليها من طرف المسلمين مقابل التسليم. كما يكشف لنا على الأسباب التي أدّت إلى الخرق التّام لبنود المعاهدة والمبدأ الذي خرقت لأجله وهو ديني – عنصري بالدّرجة الأولى، فيستطرد في الحديث عن التنصير، وعن إجباريته، وعن تجنيد السللطات لأجله، وعن محاربة كلّ من كشف أنّه تنصّر ظاهريا فقط، كما يشير إلى الآليات التي عذّب بها من أبدى مقاومة أو قام بثورات بعد خرق السلطات الدينية والسياسة لبنود الوثيقة.

أمّا كتاب رحلة أفوقاي فيعطينا هو الآخر لمحة على ما عانته الساكنة المسلمة بإسبانيا خلال نهايات القرن ال16م وحتى مطلع القرن ال17م، فيبرز قضية طمس الهوية العربية الإسلامية بجلاء عند حديثه عن تخوف الأندلسيين من كشفهم من طرف السلطات، وعدم مساعدتهم للآخرين على الإستفتاء حتى في أمور دينهم، إلاّ مع من هو ثقة عندم.كما يشير إلى إلى محاكم التفتيش وسيلة الحرق المعتمدة بها. لكن تبرز أهميته بالنسبة لما تناوله فيي موضوع الطرد النهائي لمسلمي الأندلس، فيتحدث عن أسباب وإجراءات ما قبل الطرد وما بعده، وكيف تشتت الأندلسيون في العديد من البقاع.

أمّا بالنسبة لأوجه التشابه والاختلاف بين المصدرين، فنجد أنّهما يتشابها من حيث أهميتهما في التأريخ لحدث النكبة؛ لما يحوياه من مادة خبرية مفيدة جدّا. أمّا أوجه الاختلاف فهي متعددة، نبدأها من حين نوع النص، ومن حيث الإنتماءات السياسية والدينة للمؤلفين، ومن حيث القرن الذي عاشا فيه؛ إذ أنّ كربخال كان شاهد عيان على سقوط غرناطة عام 1492م، أمّا أفوقاي فعايش قانون الطرد الإجباري عام 1609م. الأمر الذي جعلهما يتباينان من حيث المواضيع المعالجة في كلّ كتاب، ناهيك عن كون ألكّ الغاية من تأليف الرحلة هي حفظ للمناظرات الدينية الواقعة بين أفوقاي كعالم مسلم وبين النصار كالآخر الكافر.

قائمة المصادر والمراجع:

العربية:

1/ ابن الحاج السلمي جعفر. 2015. مرمول كربخال مؤرخا للأندلس والأندلسيين. أعمال الندوة الدولية: الأندلسيون الموريسكيون في المغرب: الحالة الراهنة للبحث. تنسيق مصطفى عديلة. الطبعة 1. منشورات الجمعية المغربية للدراسات الاندلسية. المغرب.

2/ بن عبد الله عبد العزيز. 1982. الأندلسيون المورسكيون. مجلة اكاديمية المملكة العربية. عدد خاص بالملكين. العدد 15. ص- ص) :53 -77.(

3/ الجابري نجيب محمد. مارس 2012. مسلمو غرناطة بعد عام 1492 لخليو كاروباروخا وشتات أهل الأندلس، المهاجرون الاندلسيون لمرثيديس غاريتيا أرينال. مجلة الإسلام والعالم. العدد 35. ص- ص) :445 -464(

4/ الحجري أحمد بن قاسم. د ت. كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين. تحقيق وتقديم وترجمة شورد فان كوننكز فلند وقاسم السمرائي وخيرارد فيخرز. المجلس الأعلى للأبحاث العلمية والوكالة الاسبانيةللتعاون الدولي. دون ذكر مكان النشر.

5/ الحجري بن قاسم أحمد. 2004. رحلة أفوقاي الأندلسي. تحرير وتقديم محمد زروق. الطبعة 1. دار السويدي للنشر والتوزيع والمؤسسه العربيه للدراسات والنشر. أبوظبي وبيروت.

6/ رزوق محمد. 1998. الأندلسيون وهاجراتهم إلى المغرب. الطبعة 3. افريقيا الشارقة. الدار البيضاء.

7/ الشمالي نضال محمد فتحي. 2015. ايديولوجية الاقصاء واثبات الهوية في مختصر رحلة أفوقاي الأندلسي "الشهاب إلى لقاء الأحباب 1611- 1613". مجلة العلوم العربية الانسانية. المجلد 8. العدد 2. ص- ص) :963 -1019.(

8/ الشمري يوسف كاظم جغيل والمعموري محمد عبد الله. دون تاريخ. المورسكيون في بلنسية دراسة في أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية 1525-1609. مجله مركز بابل للدراسات الانسانيه. المجلد 5. العدد -1. ص - ص :)196-172(

9/ عبد المؤمن محمد. ديسمبر 2016. مرسوم طرد الموريسكيين بمملكة بلنسية ومرسوم طرد الموريسكيين من سائر الممالك الإسبانية. (ترجمة). دورية كان التاريخية. العدد 34 ص-ص) :157 -164(

10/ فرحات يوسف شكري. غرناطة في ظل بني الأحمر دراسه حضارية. الطبعة 1. دار الجيل. بيروت. 1993.

11/ الفزاوي محمد. ديسمبر 2020. الموريسكيين وإعادة الانتشار (الظروف والمآلات) المجال المغربي نموذجا. دورية كان التاريخية. السنة 13. العدد 50. ص- ص):105-113(

12/ كربخال دي المرمول لويس. 1984. إفريقيا. الجزء 1. دون طبعة. ترجمة محمد حجي وآخرون. الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر. مكتبة المعارف. الرباط.

13/ كربخال دي المرمول لويس.2013. تاريخ ثورة وعقاب أندلسي مملكة غرناطة. ترجمة وتقديم جعفر بن الحاج السلمي مراجعة: مصطفى عديلة. الطبعة 1. الجمعية المغربية الأندلسية – جمعية تطوان أسمير. تطوان.

14/ لعناني مريامة. جوان 2017. ة كتاب تاريخ ثورة وعقاب أنددلسي مملكة غرناطة للويس دي المرمول كربخال مصدر من مصادر تاريخ غرناطة بني الأحمر. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية. المجلد 11. العدد 21. ص-ص) :325 -342(

15/ مظهر علي. دون تاريخ. محاكم التفتيش في اسبانيا والبرتغال وغيرها. دون طبعة. المكتبه العلميه.د ذ م ن.

16/ نصري هاني يحيى. أخبار سقوط غرناطة . الطبعة 1. مؤسسة الانتشار العربي. لندن.2000.

الأجنبية:

17/Benremdane Ahmed. Cara ycruz de los musulmaes de la ESpana de los sigos XVI y XVII. Acttas del Coloquio Internacional "Los Moriscos-Andalusies en Marruecos Estado de la cuestion. Coordinador: Mustapha Adila. Primera edicion. Al-Khaliji Al-Arabi.Tetuan.p-p(160 -151) :

18/Chalkha Achouak. 2015. Les familias moriscas en Faz entre el pasado y el presente. Acttas del Coloquio Internacional "Los Moriscos-Andalusies en Marruecos Estado de la cuestion. Coordinador: Mustapha Adila. Primera edicion. Al-Khaliji Al-Arabi.Tetuan.p-p: (139- 150)